المدرسة القرآنية في النجف الأشرف ودورها التجديدي في علوم القرآن

عماد الكاظمي

منشورات معالم الفكر

الكتاب: المدرسة القرآنية في النجف الأشرف ودورها التجديدي في علوم القرآن -البيان في تفسير القرآن أنموذجاً-

المؤلف: عماد الكاظمي

الطبعة: الأولى

الناشر: معالم الفكر/ بيروت – حارة حريك مجاور مسجد الحسنين

العراق – الكاظمية المقدسة

السنة: ١٤٣٦هـ ٢٠١٥م

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (٢٧٧٩) لسنة ٢٠١٢م

الإهداء:

- إلى تلك الروح العظيمة التي لم تؤثر راحة البدن عليها لحظة واحدة ..

- إلى مَنْ أخذ على نفسه العهد لخدمة رسالة خاتم النبيين والمرسلين ..

- إلى محيي آثار أجداده الأئمة الطاهرين ..

- إلى مرجع الأمة الإسلامية الكبير ..

- إلى مَنْ آثر خدمة الكتاب العزيز .. مجدد الفقه والأصول ..

السيد الخوئي (قدس سره) أهدي هذا الجهد اليسير ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة على النبي المكرَّم، وعلى الأئمة سادة الأمم ..

تعد الحضارة الإسلامية من أعظم الحضارات الإنسانية وأعمقها في جانبي النظرية والتطبيق، وخصوصاً فيما يتعلق بالقوانين التي تكفل للإنسانية سعادتها، وتبيِّنُ لها الغاية من خلقها، وقد تكفَّلَت الشريعة الإسلامية من خلال القرآن الكريم والسنة الشريفة بيان ما يتعلق بذلك، فكان للقرآن دور كبير في المجتمع الإسلامي من خلال بيان ما يحتاجه المسلمون في حياتهم اليومية، وكان المسلمون يرجعون إليه في كُلِّ صغيرة وكبيرة لكونه السبب المتصل بالوحي الإلهي، حتى أصبح المرجع الأساس لكُلِّ شؤونهم، وخصوصاً مع وجود النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي يبيِّنُ لهم ما يصعب عليهم فهمه، فكان الاهتمام كبيراً بالقرآن الكريم ابتداء من أول علاقة للمسلمين معه والتي كانت كما تؤكد عليها الروايات المباركة الحث على تلاوته، والنظر فيه، ودراسته، والتعرُّفِ على أسباب نزوله، وما يتعلق به من الحوادث التي وقعت أو ستقع في المستقبل، وقد أشار القرآن إلى كُلِّ ذلك، فكانت هذه البذرة الأولى للاهتمام بدراسة القرآن الكريم والتأسيس لبعض علومه حتى تطورت تلك الدراسات

فأثمرت علماً خاصاً يُعرف بـ(علوم القرآن) فكانت المدرسة الأولى لذلك هي مدرسة المدينة المنورة التي كان للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها أثرٌ واضحٌ في تربية الصحابة على ذلك، وكذا ما سبقها من البدايات البسيطة في مكة، ثم انتقلت هذه المدرسة لتصل إلى الكوفة عندما انتقل إليها علي بن أبي طالب (عليه السلام) -القرآن الناطق- في خلافته على الرغم من سنيِّها القليلة، حيث كان يُبيِّنُ للناس تفسير القرآن وبيان أحكامه وما يتعلق بناسخه ومنسوخه وغير ذلك، فلمدينة النجف دورٌ في إرساء قواعد علوم القرآن الكريم كغيرها من المدن الإسلامية العريقة، إضافة إلى خصوصية هذه المدينة من حيث انتمائها لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) الذين هم ثقل القرآن وعدله كما ورد في حديث الثقلين المتواتر ..

ومن أهم تلك المنجزات لعلوم القرآن في القرن الماضي ما صدر عن هذه البقعة من مؤلفات متعددة في هذا المجال وخصوصاً التفسير منها مع كون اختصاص هذه المدينة كثيراً بعلمَي الفقه والأصول، حيث تعد الرائدة فيهما تأسيسا وبقاء لهذا اليوم، ولكن لم يَغِبْ دور علمائها عن الاهتمام بالدراسات القرآنية على الرغم من التفاوت في التأليف بينها وبين علمَي الفقه والأصول كَمّاً وكيفاً، وكتاب (البيان في تفسير القرآن) للسيد أبي القاسم الخوئي (قدس سره) يعد -بصراحة- إنجاز كبير في مناهج علوم القرآن حتى أصبح اليوم محور الدراسات القرآنية في الحوزات

العلمية وغيرها في بعض الجامعات الأكاديمية وذلك لسببين أساسيين هما: عظمة مؤلفه ومكانته العلمية كونه من كبار المراجع في العالم الإسلامي، إضافة إلى دقة المباحث القرآنية التي تناولها الكتاب بالتدقيق والتحقيق والتمحيص وموازنة الآراء بالنسبة للمدارس الإسلامية الأخرى..

أملنا أنْ يكون هذا البحث [1] مشاركة متواضعة في سبيل إحياء ونشر الدراسات القرآنية في الجامعات الإسلامية من خلال البحوث المختلفة في هذا المجال، نسأله تعالى أنْ يتقبَّل منا بأحسن قبوله إنه سميع مجيب.

---

(١) هذه الصفحات لبحث تمت المشاركة فيه في المؤتمر العلمي السنوي الثالث الذي أقامته الكلية الإسلامية الجامعة في النجف الأشرف تحت شعار (أثر مدينة النجف الأشرف في الحضارة الإنسانية) للمدة ٢٠٢٣/٤/٢٢-٢٠١١م.

تمهيد:

إنَّ لأهمية القرآن الكريم حيث كونه المصدر الأساس للرسالة الإسلامية وجوداً وبقاءً إضافة لاشتماله على عدد كبير من الآيات البينات التي لها علاقة بأحكام الشريعة المقدسة كان للعلماء والمجتهدين والمحققين ذلك الاهتمام بكُلِّ علمٍ يتعلق به، والذي يتعلق بالأساس في الحفاظ على جوهر العقيدة الإسلامية إضافة إلى الأحكام الشرعية المقدسة..

وقد بحث السيد الخوئي (قدس سره) في كتابه الفريد (البيان في تفسير القرآن) مباحث عدة كان يرى ضرورة الكتابة والتحقيق فيها لكُلِّ مَنْ يريد أنْ يفهم حقيقة القرآن الكريم ويدافع عن كُلِّ ما قد يريد إثارته أعداء الإسلام، أو الجاهلين بالعقيدة الإسلامية، من خلال تسخير الآيات لما يعتقدونه، فيكون بالتالي ما يعتقدونه هو الثابت والقرآن هو المتغير والتابع لهم -حاشاه ذلك- فالقرآن هو المنهج الإلهي للوصول نحو الصراط المستقيم وتحقيق السعادة للبشرية، وقد أشار (قدس سره) إلى هذه الحقيقة في أول كلماته في مقدمة الكتاب حيث يقول: ((وجدير بالمسلم الصحيح، بل بكل مفكر من البشر أنْ يصرف عنايته إلى فهم القرآن،

واستيضاح أسراره، واقتباس أنواره، لأنه الكتاب الذي يضمن إصلاح البشر، ويتكفل بسعادتهم وإسعادهم)). [١]

ومن أهم المباحث القرآنية التي تناولها الكتاب:

- أولاً / فضل القرآن الكريم.
- ثانياً / إعجاز القرآن الكريم.
- ثالثاً / القراءات القرآنية والقراء وما يتعلق بذلك.
- رابعاً / صيانة القرآن من التحريف.
- خامساً / النسخ في القرآن الكريم.
- سادساً / أصول التفسير. [٢]

حاول السيد (قدس سره) من خلال هذه المباحث أو الأبواب أنْ يمهِّد لتفسير كلام الله تعالى ومعرفة المراد الحقيقي لقوله تعالى لذا احتاج أنْ يبين ذلك من خلال منهج تمهيدي لذلك دون أنْ يتعرض إليه في حينه عندما يحتاج إليه في تفسير آية معينة أو توضيح مفهوم قرآني أثناء التفسير، وقد أشار إلى ذلك في المدخل حيث يقول: ((وهو يشتمل على موضوعات علمية تتصل بالقرآن من حيث عظمته وإعجازه، ومن حيث

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي ص١٨

(٢) وتوجد مباحث أخرى في الكتاب، ولكن آثرنا ذكر هذه لأنها من أهم مباحث علوم القرآن وفيها من الآراء والأقوال المختلفة حاولنا عرضها في البحث بإيجاز.

صيانته عن التحريف، وسلامته من التناقض، والنسخ في تشريعاته، وما إلى ذلك من مسائل علمية ينبغي تصفيتها كمدخل لفهم القرآن ومعرفته، والبدء بتفسيره على أساس علمي سليم)). [1]، وإنْ كان هذا المنهج قد سبقه من قبل بعض المفسرين، فمثلاً من القدماء نرى ذلك في تفسير التبيان للشيخ الطوسي (ت٤٦٠هـ) وفي مجمع البيان للطبرسي (ت٥٤٨هـ)، ومن المتأخرين الشيخ محمد جواد البلاغي (ت١٣٨٠هـ) في مقدمة تفسيره آلاء الرحمن. ولكن السيد الخوئي (ت١٤١٢هـ) قد امتاز عنهم بالتفصيل في مواضيع هذا العلم، إضافة إلى الدقة في التحقيق وعرض الآراء المختلفة ومناقشتها ورفض بعضها وتأييد الآخر، حتى عُدَّ كتاباً خاصاً في مباحث علوم القرآن لا يستغني الباحث والدارس في هذا العلم عنه، إضافة للاطلاع على آراء محققي الإمامية في تلك الأبواب، لذا يعدُّه الباحثون في هذا المجال أنه فتح مبين لعلوم القرآن الكريم، ونحاول إنْ شاء الله تعالى في هذا الفصل أنْ نُعَرِّج على أهم موضوعات كُلِّ مبحث من هذه المباحث الستة التي تناولها الكتاب لنرى أهمية هذا الأثر المعرفي الذي أنتجته مدينة النجف الأشرف وعلى يدي عَلَمٍ من أكابر أعلامها أستاذ الفقهاء

(١) البيان في تفسير القرآن، السيد الخوئي ص٢٠

والمجتهدين، المحقق الأصولي، الفقيه الرجالي، السيد (أبو القاسم الخوئي). [1]

ولعلنا في هذا الصفحات ومن خلال دراستنا القرآنية نحاول بيان أدقِّ المباحث التي تضمَّنَها هذا النتاج الفكري لمدرسة النجف الأشرف وبيان عظمة هذه المدرسة من خلال ذلك.

وسوف يقسَّم البحث على مبحثين بعد مقدمة وتمهيد وخاتمة، يتناول المبحث الأول بياناً موجزاً لمباحث علوم القرآن التي تناولها هذا الجهد العلمي النجفي، ثم يتناول المبحث الثاني مسألة مهمة من مسائل علوم القرآن وهي القراءات القرآنية التي طالما كانت محور بحث في

(١) اكتفيت بهذا الوصف للسيد (قدس سره) ولم أُقدِّم عن سيرة حياته وولادته ودراسته وشيوخه ومؤلفاته للاختصار في البحث، ولكن يمكن الرجوع إلى (معجم رجال الحديث) الجزء الثالث والعشرين ص٢٠ وتحت الرقم (١٤٧٢٧) حيث ترجم السيد لنفسه، وأما ما قيل فيه فلا تسعُهُ مجلدات ولكن إجمالاً نذكر كلمة العلامة الشيخ محمد جواد مغنية فيه، تلك الكلمة المشهورة التي طبعت في مقدمة كتاب (البيان في تفسير القرآن) حيث يقول: ((إنه كالشمس ترسل أشعتها في كل مكان وزمان، أستاذي وأستاذ العلماء في النجف الأشرف، والقطب الذي تدور حوله الحركة العلمية، وتدين له الحوزة بالشكر والولاء، وعرفان الجميل جزاء الصفرى أياديه، ولولا وجوده ووجود القلة من أهل التحقيق والتدقيق لأخذ العهد الذهبي للنجف الأشرف بالأفول –لاسمح الله– وكانت الجامعة النجفية كغيرها لا تعرف سوى الظواهر والقشور...)). ص١٢

الدراسات القرآنية، فنحاول التعرُّف على رأي مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فيها من خلال مدرسة النجف القرآنية المباركة ..

المبحث الأول
نظرة موجزة لمباحث البيان

المبحث الأول: نظرة موجزة لمباحث البيان.

في هذا المبحث نحاول أنْ نستعرض أهم تلك المواضيع التي بحثها السيد الخوئي (قدس سره) لكتاب (البيان في تفسير القرآن) بإيجاز.

- **أولاً**: **فضل القرآن الكريم**.

تحدث السيد الخوئي (قدس سره) وفي ست عشرة صفحة ما يتعلق بفضل القرآن الكريم من خلال الوقوف على أسراه وعظمته، أو من خلال تلاوته وتعاهد قراءته وتوثيق العلاقة بين المسلم وكتاب الله تعالى، إلى غير ذلك من الآثار التي لا يمكن للإنسان أنْ يقف عليها وهو المخلوق المحدود بكل ما أوتي من قوىً، فما عليه إلا أنْ يقف منزِّهاً الله تعالى ومتصاغراً أمام عظمته، وهذه الحقيقة التي يجب أنْ يعترف بها كُلُّ مخلوق وهو يتأمل كُلَّ آية، بل كُلَّ كلمة من كلام القرآن الكريم، وألا يغترَّ بأيِّ علم يمتلكه، بل يسخِّره لفهم كلام ذلك الخالق الحكيم العظيم، وقد أشار (قدس سره) إلى هذا المفهوم ليكون الدارس والباحث في كتاب الله تعالى متذللاً خاشعاً لله تعالى من أوَّل خطواته حيث يقول: ((من الخير أنْ يقف الإنسان دون ولوج هذا الباب، وأنْ يتصاغر أمام هذه العظمة، وقد يكون الاعتراف بالعجز خيراً من المضي في البيان، ماذا يقول الواصف في عظمة القرآن، وعلو كعبه ؟ وماذا يقول في بيان فضله، وسمو مقامه ؟ وكيف يستطيع الممكن أنْ يدرك مدى كلام الواجب ؟ وماذا يكتب لكاتب في هذا

الباب ؟ وماذا يتفوَّه به الخطيب ؟ وهل يصف المحـــدود إلا محـــدوداً ؟ وحسب القرآن عظمة، وكفاه منزلةً وفخراً أنه كلام الله العظيم، ومعجزة نبيه الكريم، وأنَّ آياته هي المتكفلة بهداية البشر في جميع شؤونهم وأطوارهم في أجيالهم وأدوارهم، وهي الضمينة لهم بنيل الغاية القصوى، والـــسعادة الكبرى في العاجل والآجل ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَـــشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيراً﴾ (١) ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العِتَـــابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِـــرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (٢)). (٣)

فهذه الكلمات حقيقة تجعل المرء يتأمل ويتفكر في عظمة هـــذا الكتاب وسرِّ خلوده، ولذا قدَّم السيد الخوئي (قدس سره) هذه الكلمات والآيات قبل أنْ يستعرض بعض الأحاديث الشريفة التي وردت عن النبـــي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) الذين آثرت عنهم روايات كثيرة في فضل القرآن وعظمته على سواه من الكلام، وإنَّ السيد (قدس سره) قد ذكر عدداً من تلك الروايات وعلَّق عليها وبيَّن آثارها وأثرها وبُعدها، نكتفي بـــذكر

(١) سورة الإسراء: الآية ٩

(٢) سورة إبراهيم: الآية ١

(٣) البيان ص٢٣

حديث واحد لما فيه من الآثار الكبيرة لمن تمسك بكتاب الله تعالى وعمل به وكذا لمن تركه وراء ظهره وهجره والتعليقات اللطيفة والمهمة التي بيَّنها السيد (قدس سره)، ففي الحديث عن الحارث الهمداني [1] قال: ((دخلت المسجد فإذا أناسٌ يخوضون في أحاديث، فدخلت على عليٍّ فقلت: أَلا ترى أنَّ أُناساً يخوضون في الأحاديث في المسجد ؟

فقال: قد فعلوها ؟

قلت: نعم.

قال: أما إني قد سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ستكونُ فتنٌ.

قلت: وما المخرج منها ؟

قال: كتاب الله، كتابُ اللهِ فيه نبأ ما قبلكُم وخبر ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم، هو الفصلُ ليسَ بالهزل، هو الذي مَنْ تركهُ مِنْ جبارٍ قصمَهُ الله، ومَنِ ابتغى الهدى في غيره أضلَّهُ الله، فهو حبلُ اللهِ المتين، وهو الذكرُ الحكيم، وهو الصراطُ المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبسُ به الأَلْسنة، ولا

---

(١) الحارث الهمداني: هو الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، وقد اتفقت كلمات علماء الإمامية على أنه من أعاظم أصحاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وعلى نزاهته ومكانته السامية، ووصفوه بالورع والتقوى، والقيام بخدمة سيده أمير المؤمنين (عليه السلام) ونص على توثيقه الأعلام في كتبهم الرجالية وغيرها، وذكر غير واحد من أكابر علماء السنة الحارث فأثنى عليه.

يشبعُ منه العلماء، ولا يُخلق عن كثرةِ الردِّ، ولا تَنقضي عجائبُهُ، وهو الذي لم ينتهِ الجنُّ إذ سمعته أنْ قالوا: إنا سمعنا قرآناً عجباً، هو الذي مَنْ قال به صدق، ومَنْ حكمَ به عدل، ومَنْ عمل به أجر، ومَنْ دعا إليه هُـــدي إلى صراطٍ مستقيم، خذها إليك يا أعور)). [١]

فهذا نص الحديث الذي يذكره السيد اعتماداً على موسوعة بحار الأنــوار للعلامة المجلسي، ولكننا نرى أنه يقف على فقرات هذا الحديث فيوضِّح ويُبَيِّن مرامي هذا الحديث الشريف الشامل لأمور مهمة شتى، حيث نرى أنَّ منهجه في تحليل هذه الأحاديث التي وردت في فضل القرآن هــو نفــس المنهج العلمي الدقيق الذي يتناوله في مباحثه الفقهية في مناقشة الروايات وبيان أسرارها وعمقه، حيث لم يعتمد أسلوب سرد الروايات بعضها مع بعض والقارىء يفهم منها ما يفهم، بل يجعل له منهجاً دقيقاً وواضحاً في التعامل مع ألفاظ الرواية وربطها مع ألفاظ أخرى ســواء مــن القــرآن أو الأحاديث الشريفة ليفتق الذهن نحو المعارف الموجودة في بواطن هــذه الروايات [٢]**، فيقول: ((وفي الحديث مغاز جليلة يحسن أنْ نتعرض لبيان**

---

(١) البيان ص ٢٥

(٢) إنَّ مَنْ يراجع أبحاث الخارج للسيد (قدس سره) في الفقه والأصول يتعرَّف على حقيقة هذا المنهج ويستلذه ولا يستغربه، حيث التحقيــق والتمحــيص للروايــات والأدلة، وهذا ما يميِّز المدرسة الفكرية للسيد الخوئي (قــدس سره) في مجــالات العلوم والمعارف.

أهمها. يقول "صلى الله عليه وآله وسلم": (فيه نبأ ما كان قبلكم، وخبر ما بعدكم) والذي يحتمل في هذه الجملة وجوه: الأول: أنْ تكون إشارة إلى أخبار النشأة الأخرى من عالمَيِ البرزخ والحساب والجزاء على الأعمال، ولعل هذا الاحتمال هو الأقرب. ويدل على ذلك قول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته: (فيه نبأ مَنْ كان قبلكم، والحكم فيما بينكم، وخبر معادكم)، الثاني: أنْ تكون إشارة إلى المغيبات التي أنبأ عنها القرآن، مما يقع في الأجيال المقبلة. الثالث: أنْ يكون معناها أنَّ حوادث الأمم السابقة تجري بعينها في هذه الأمة، فهي بمعنى قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [1]، وبمعنى الحديث المأثور عن النبي (صلى الله عليه وآله) " لتركبن سنن من قبلكم ".

أما قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): (مَنْ تركه مِنْ جبارٍ قصمَهُ الله) فلعل فيه ضماناً بحفظ القرآن عن تلاعب الجبارين، بحيث يؤدي ذلك إلى ترك تلاوته وترك العمل به، وإلى جمعه من أيدي الناس كما صنع بالكتب الإلهية السابقة فتكون إشارة إلى حفظ القرآن من التحريف. وسنبحث عنه مفصلاً. وهذا أيضاً هو معنى قوله في الحديث: (لا تزيغ به الأهواء) بمعنى لا تغيره عما هو عليه، لأنَّ معاني القرآن قد زاغت بها الأهواء فغيَّرتها. وسنبين ذلك مفصلاً عند تفسير الآيات إنْ شاء الله تعالى.

---

(١) سورة الانشقاق: الآية ١٩

وأشار الحديث إلى أنَّ الأمة لو رجعوا إلى القرآن في خصوماتهم، وما يلتبس عليهم في عقائدهم وأعمالهم لأوضَحَ لهم السبيل، ولوجدوه الحكم العدل، والفاصل بين الحق والباطل.

نعم لو أقامت الأمة حدود القرآن، واتبعت مواقع إشاراته وإرشاداته، لعرفت الحق وأهله، وعرفت حق العترة الطاهرة الذين جعلهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قرناء الكتاب، وأنهم الخليفة الثانية على الأمة من بعده، ولو استضاءت الأمة بأنوار معارف القرآن لآمنت العذاب الواصب، ولما تردت في العمى، ولا غشيتهم حنادس الضلال، ولا عالَ سهم من فرائض الله، ولا زلت قدم عن الصراط السوي، ولكنها أبت إلا الانقلاب على الأعقاب، واتباع الأهواء، والانضواء إلى راية الباطل حتى آل الأمر إلى أنْ يُكَفِّرَ بعض المسلمين بعضاً، ويتقرب إلى الله بقتله، وهتك حرمته، وإباحة ماله، وأي دليل على إهمال الأمة للقرآن أكبر من هذا التشتت العظيم ؟!!)). [1]

فهذا الحديث الشريف الذي أورد السيد الخوئي في كتابه يغني عن ذكر الأحاديث الأخرى في هذه الصفحات بعد أنْ بيَّن السيد منهجه في تتبُّعِ الأحاديث الواردة في عظمة القرآن الكريم، لذا يختم هذا الباب بقوله: ((والأحاديث في فضل التدبر في القرآن كثيرة. ففي الجزء التاسع عشر من

(١) البيان ص٢٥

بحار الأنوار طائفة كبيرة من هذه الأحاديث، على أنَّ ذلك لا يحتاج إلى تتبع أخبارٍ وآثارٍ، فإنَّ القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله نظاماً يقتدي الناس به في دنياهم، ويستضيؤون بنوره في سلوكهم إلى أُخراهم، وهذه النتائج لا تحصل إلا بالتدبر فيه والتفكر في معانيه. وهذا أمرٌ يحكم به العقل. وكل ما ورد من الأحاديث أو من الآيات في فضل التدبر فهي ترشد إليه. ففي الكافي بإسناده عن الزهري قال: سمعت علي بن الحسين (عليهما السلام) يقول: "آياتُ القرآنِ خزائنُ فكلما فتحتَ خزينةً ينبغي لكَ أنْ تنظرَ ما فيها)).[1]

- **ثانياً**: **إعجاز القرآن الكريم**.

وهذا المبحث من المباحث المهمة في علوم القرآن حيث يريد الباحث أنْ يتعرَّف على المعنى الحقيقي للمعجز وأسبابه والضروف التي تحيط بالحادثة المعجز، إضافة لما له دور في العقيدة من حيث التصديق بدعوى مَنْ يدَّعي النبوة من عدمه، والقرآن الكريم بما أنه الكتاب السماوي الذي قصَّ على نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) أخبار الأنبياء والمرسلين السابقين مع أممهم إضافة لادِّعائه النبوة فلابد من دراسة هذا الموضوع لِمَنْ يريد فهم ودراسة كتاب الله تعالى.

(١) المصدر السابق ص٣٧

وقد فصَّل السيد القول في هذا الباب لأهميته الكبيرة واستعرض مسائل مهمة أغنت الباحثين في فهمها والإحاطة بها، فلم يتحدَّث عن المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظ المعجز بل تعدّاه إلى موضوعات مهمة، حيث ذكر في ذلك:

* **معنى المعجز في اللغة والاصطلاح**.

فبعد الحديث عن ما يتعلق بمفهوم المعجزة لدى العلماء انتهى إلى تعريف المعجز بأنه: ((أنْ يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة، ويعجز عنه غيره، شاهداً على صدق دعواه)). [1]، فليس الإتيان بأي أمرٍ لايستطيع الآخرون الإتيان به يمكن أنْ يُطلق عليه معجزاً، بل لابد أنْ يكون شاهداً على صدقِ دعوى مَنْ يدَّعيه، ويثبت بالعقل إمكان الإتيان به، لذا يبيِّن السيد مراده من هذا التعريف والقيود التي وردت فيه فيقول: ((وإنما يكون المعجز شاهداً على صدق ذلك المدعي إذا أمكن أنْ يكون صادقاً في تلك الدعوى. وأما إذا امتنع صدقه في دعواه بحكم العقل، أو بحكم النقل الثابت عن نبي، أو إمام معلوم العصمة، فلا يكون ذلك

(١) المصدر السابق ص٤١

شاهداً على الصدق، ولا يسمى معجزاً في الاصطلاح وإنْ عجز البشر عن أمثاله)). (١)

* **إقامة الأدلة على أنه لكُلِّ نبيٍّ من معجزٍ يأتي به ليصدِّقه قومه**..

حيث لابد لكُلِّ نبي من إقامة دليل على أنه مبعوث من قبل الله تعالى، لإيصال أحكام الله إلى العباد، والوصول بهم إلى سعادتهم، وإنَّ أعظم معجزة خالدة لنبينا الأكرم هو القرآن الكريم؛ لأنه فيه من المميزات التي عجز عنها علماء عصره عن أنْ يأتوا بمثله أو بجزء منه، ويذكر السيد أهم هذه الوجوه الإعجازية للقرآن الكريم التي جعلته أنْ يكون معجزة خالدة أبد الدهر على صدق دعوى نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذه الوجوه الستة بإيجاز هي:

---

(١) وكل ذلك ليؤكد على المعنى الدقيق للفظ المعجز في المصطلح القرآني والذي قد وقع الخلط واللبس عند بعض المتخصصين أو العوام، ولذا يذكر بعد ذلك أمثلة توضِّح كلامه في الصفحة نفسها، فمثلاً يقول: ((مثال الأول: ما إذا ادعى أحدٌ أنه إلهٌ، فإنَّ هذه الدعوى يستحيل أنْ تكون صادقة بحكم العقل، للبراهين الصحيحة الدالة على استحالة ذلك. ومثال الثاني: ما إذا ادعى أحد النبوة بعد نبي الإسلام، فإنَّ هذه الدعوى كاذبة قطعاً بحكم النقل المقطوع بثبوته الوارد عن نبي الإسلام وعن خلفائه المعصومين بأنَّ نبوته خاتمة النبوات، وإذا كانت الدعوى باطلةً قطعاً، فماذا يفيد الشاهد إذا أقامه المدعي ؟ ولا يجب على الله جل شأنه أنْ يبطل ذلك بعد حكم العقل باستحالة دعواه، أو شهادة النقل ببطلانها)). ينظر: ص٤١

١- القرآن والمعارف.

وهي التي صرَّح بها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على الرغم من كونه أمياً حيث يقول (قدس سره): ((ومع أُمِّيته فقد أتى في كتابه من المعارف بما أبهر عقول الفلاسفة، وأدهش مفكري الشرق والغرب منذ ظهور الإسلام إلى هذا اليوم، وسيبقى موضعاً لدهشة المفكرين، وحيرتهم إلى اليوم الأخير، وهذا من أعظم نواحي الإعجاز)). [1]

(١) البيان ص٥٥، وقد بيَّن في هذه الفقرة كلاماً دقيقاً على إعجاز القرآن من هذه الجهة، فلننظر إلى هذه الاستدلالات العقلية القائمة على قوة الدليل والبرهان وهذه من أهم الصفات التي اختصَّ بها السيد الخوئي (قدس سره) في بحوثه ودروسه من العمق العلمي والتحقيقي، فنراه يقول مثلاً بعد ذكر أمية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): ولنتنازل للخصوم عن هذه الدعوى، ولنفرض أنَّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن أمياً، ولنتصوره قد تلقن المعارف، وأخذ الفنون والتاريخ بالتعليم، أَفَلَيس لازمُ هذا أنه اكتسب معارفه وفنونه من مثقفي عصره الذين نشأ بين أظهرهم؟ ونحن نرى هؤلاء الذين نشأ محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بينهم، منهم وثنيون يعتقدون بالأوهام، ويؤمنون بالخرافات، وذلك ظاهر. ومنهم كتابيون يأخذون معارفهم وتأريخهم وأحكامهم من كتب العهدين التي ينسبونها إلى الوحي، ويعزونها إلى الأنبياء. وإذ فرضنا أنَّ محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) أخذ تعاليمه من أهل عصره، أَفَلَيس لازمُ هذا أنْ ينعكس على أقواله ومعارفه ظلال هذه العقائد التي اكتسبها من معلميه ومرشديه.

ومَنْ هذه الكتب التي كانت مصدر ثقافته وعلومه ؟ ونحن نرى مخالفة القرآن لكتب العهدين في جميع النواحي، وتنزيهه لحقائق المعارف عن الموهومات الخرافية

٢- القرآن والاستقامة في البيان.

لقد أكد (قدس سره) على هذا الجانب في المعجزة الخالدة للقرآن الكريم من خلال شواهد عقلية ونقلية وشهادات أهل الخبرة والاختصاص في ذلك وهذا ما يجعل الباحث واقفاً على أرضية عقائدية وقرآنية صلبةٍ لا يعتريها أيَّ شك أو انحراف، فيقول في شاهده العقلي على ذلك: ((قد علم كل عاقل جرب الأمور، وعرف مجاريها أنَّ الذي يبني أمره على الكذب والافتراء في تشريعه وأخباره، لابد من أنْ يقع منه التناقض والاختلاف، ولا سيما إذا تعرض لكثير من الأمور المهمة في التشريع والاجتماع والعقائد، والنظم الأخلاقية المبتنية على أدق القواعد وأحكم الأسس، ولا سيما إذا طالت على ذلك المفتري أيام، ومرت عليه أعوام . نعم لابد من أنْ يقع في التناقض والتهافت من حيث يريد أو لا يريد، لأنَّ ذلك مقتضى الطبع البشري الناقص إذا خلا من التسديد، فلم توجد فيه أيَّةَ مناقضة ولا أدنى اختلاف ولم يتباعد عن أصل مسَلَّمٍ عند العقل والعقلاء. وربما يستعرض الحادثة الواحدة مرتين أو أكثر، فلا تجد فيه أقل تهافت وتدافع. وإليك قصة موسى (عليه السلام) فقد تكررت في القرآن مراراً عديدةً، وفي كل مرة تجد لها

التي ملأت كتب العهدين وغيرها من مصادر التعلم في ذلك العصر. وقد تعرض القرآن الكريم لصفات الله جل شأنه في آيات كثيرة ، فوصفه بما يليق بشأنه من صفات الكمال، ونزهه عن لوازم النقص والحدوث ...

مزية تمتاز بها من غيـــر اختلاف في جوهر المعنى)). [١]، وأما شاهده من القرآن فهو قوله تعالى: ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْـــرِ اللّـــهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً﴾ . [٢]

وأما شاهده من شهادات أهل الخبرة والاختصاص فنكتفي بواحدة فقـــط وهي شهادة الوليد بن المغيرة حيث يقول: ((وإنَّ كلمة الوليد بن المغيرة في صفة القرآن تفسر لنا ذلك، حيث قال –حين سأله أبو جهـــل أنْ يقـــول في القرآن قولاً: " فما أقول فيه ؟ فوالله ما منكم رجلٌ أعلمُ في الأشعار مِنِّـــي، ولا أعلم برجزه مِنِّي، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الـــذي يقول شيئاً من هذا، ووالله إنَّ لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى.

قال أبو جهل: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه. قال الوليد: فدعني حتى أفكر فيه فلما فكر، قال: هذا سحر يأثره عن غيره.

وفي بعض الروايات قال الوليد: والله لقد سمعت منه كلاماً ما هو من كلام الإنس ومن كلام الجن، وإنَّ له لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنَّ أسفله لمغدق، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه، وما يقول هذا بشر)). [١]

---

(١) المصدر السابق ص٦٦

(٢) سورة النساء: الآية ٨٢

٣- القرآن في نظامه وتشريعه.

لقد بيَّن السيد (قدس سره) أدق التشريعات التي جاء بها الإسلام والتي تدل على كماله وتكامله، وأنه يبتغي إنقاذ البشرية مما كانت عليه من النظم والقوانين التي ابتدعوها حيث الظلم والقتل والسلب وغيرها، فبعد ذكره لأمثلةٍ ما كانت العرب عليه يقول: ((هذه بعض عادات العرب في جاهليتهم. وحين بزغ نور محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وأشرقت شمس الإسلام في مكة، تنوَّروا بالمعارف، وتخلقوا بمكارم الأخلاق، فاستبدلوا الوثنية بالتوحيد، والجهل بالعلم، والرذائل بالفضائل، والشقاق والتخالف بالإخاء والتآلف، فأصبحوا أمة وثيقة العرى، مدت جناح ملكها على العالم، ورفعت أعلام الحضارة في أقطار الأرض وأرجائها)).[٢] إضافة لذكره عدداً من الآيات المباركة التي تؤكد على المعاني السامية ومكارم الأخلاق والفضيلة ..

---

(١) البيان ص٦٧، ويعقب على هذه الخصال الست السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني (قدس سره) فيقول: ((ولعمري إنها شهادةٌ حافلةٌ مؤكدةٌ بـ(إنَّ المشددة) ست مرات كشهادات ست قيمة)). ينظر: المعجزة الخالدة ص٤٣

(٢) ينظر: المصدر السابق ص٧٠

٤- القرآن والإتقان في المعاني.

لقد بيَّن الإتقان في المعاني التي استخدمها القرآن الكريم آنذاك والعلوم التي تعرَّض لها والتي لم تكن تعرفها تلك الأمم أو قد سمعت عنها إجمالاً من هنا وهناك .. [١]

٥- القرآن والإخبار بالغيب.

إنَّ القرآن قد بيَّن ذلك في موارد عدة وكُلُّ ذلك شاهد صدق على دعوى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للنبوة، وقد ذكر السيد (قدس سره) أمثلة كثيرة على ذلك تؤكد صدق دعواه وقد تحققت، وتأكد المسلمون من صدقها .. [٢]

٦- القرآن وأسرار الخليقة.

لقد بيَّن السيد أمثلة كثيرة في إعجاز خلق الله تعالى وما يدل ذلك فيه على اشتمال هذا الكتاب لما يحتاجه الإنسان في شتى ميادين الحياة إضافة للسر المودع في هذه الآيات الإلهية حيث تعرض لخلق السماء والأرض والأفلاك والرياح والنبات وحركة الأرض والشمس والقمر ومطالعهما مما يؤكد كونه شاهداً على صدق الدعوة .. [٣]

---

(١) ينظر: المصدر السابق ص٧٨

(٢) ينظر: المصدر السابق ص٧٩

(٣) ينظر: المصدر السابق ص٨٢ والأمثلة الكثيرة التي ذكرها

فهذه إجمالاً بعض الشواهد التي جعلها السيد (قدس سره) أدلة على إعجاز القرآن الكريم وخلوده، وما في ذلك من الأدلة على عظمة ما يتعلق بعلوم القرآن ومنها الإعجاز والمعجزة وأهمية هذا البالب.

ثم بعد ذلك تعرَّض السيد في كتابه إلى ذكر بعض الأوهام التي ترد في هذا الموضوع من الجاهلين به وتم ردُّها بأسلوبه الدقيق المحكم، وكذا استعرض وبيَّن سائر المعجزات الأخرى التي هي شواهد على صدق دعوى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) للنبوة وما يتعلق بها.

- **ثالثاً**: **القراءات القرآنية والقراء وما يتعلق بذلك**.

إنَّ هذا المبحث من المباحث المهمة في علوم القرآن والتي كثر فيها البحث والتحقيق والكلام، وقد أبدع السيد (قدس سره) إبداعاً كبيراً في هذا الباب من حيث إشباعه بحثاً وتحقيقاً من خلال موضوعات عدة ناقشها في هذا الباب ومن أهمها:

١ – ترجمة القراء السبعة أو العشرة المعروفين.

٢ – ما يتعلق بموضوع القراءات القرآنية ومصدر نشوئها وأنَّ القراءات غير القرآن.

٣ – أدلة وأقوال نفاة تواتر القراءات.

٤ – أدلة وأقوال القائلين بتواتر القراءات.

٥ – القراءات والأحرف السبعة.

٦- أهمية البحث في القراءات.

٧- الأحرف السبعة وعلاقتها بالقراءات السبع.

وسوف نبين ما يتعلق بهذا المبحث في المبحث الثاني من بحثنا كما أسلفنا في منهج البحث.

- **رابعاً: صيانة القرآن من التحريف.**

إنَّ السيد (قدس سره) في كتابه القيم (البيان) كما أسلفنا حاول الوقوف على أهم ما يتعلق بمباحث علوم القرآن قبل أنْ يشرع في تفسيره ويبين تلك الأبواب بما تستحقه من الاهتمام والتحقيق، والحق أنه قد أبدع وأجاد في كُلِّ صفحة من كتابه الشريف، ولكنه في هذا الباب وقف على كل أدلة أو أوهام الذين يدَّعون تحريف القرآن الكريم سواء من أتباع مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) أو مدرسة الحديث حيث قد اختلط عليهم فِهم بعض الروايات التي وردت في ذلك، أو اعتمدوا على روايات آحاد، أو ضعيفة لا يمكن الاستناد إليها في إثبات مثل هذا الأمر العظيم أو غير ذلك من الأعذار، فلقد غلق السيد (قدس سره) الأبواب على كل مَنْ يدعي القول بتحريف القرآن الكريم بأدلةٍ علميةٍ رصينةٍ لا تقبل الشك.

بحث السيد هذا الموضوع من خلال محاور عدة يمكن إيجازها كالآتي:

١- معنى التحريف وما قيل فيه.

لقد ذكر السيد (قدس سره) المراد من القول بالتحريف أقوالاً ستة ذكرها مفصلة وبين مستند قائليها ورده عليهم، وقال إنَّ القول السادس هو الذي عليه النزاع وقع بين المسلمين دون غيره من الأقوال التي سبقت، فيقول: ((السادس: التحريف بالنقيصة، بمعنى أنَّ المصحف الذي بأيدينا لا يشتمل على جميع القرآن الذي نزل من السماء، فقد ضاع بعضه على الناس. والتحريف بهذا المعنى هو الذي وقع فيه الخلاف فأثبته قوم ونفاه آخرون)). [١]

٢- رأي المسلمين في التحريف.

ذكر السيد في هذا الموضوع كلام كبار علماء طائفة أتباع أهل البيت (عليهم السلام) القائلين بصيانة القرآن الكريم من التحريف، وذكر جملة منهم وأقوالهم، حتى ذكر في خلاصة ذلك النتيجة النهائية لهذا الأمر الذي نعتقده في القرآن حيث يقول: ((وجملة القول: إنَّ المشهور بين علماء الشيعة ومحققيهم، بل المتسالم عليه بينهم هو القول بعدم التحريف)). [٢]، وهذه كلمة موجزة ودقيقة تحتاج إلى تأمل وتفكُّر لدقة معناها وعمقه، ولكنه مع هذا يقول بذهاب بعض إلى القول بتحريفه ولكنه لا يعتمد على

(١) ينظر: المصدر السابق ص٢١٦ والأقوال التي وردت حول معنى التحريف، حيث أوردنا أهمها.

(٢) المصدر السابق ص٢١٧

أقوالهم، وهو ما سيقوم بالرد عليه في الصفحات اللاحقة فيقول: ((نعم ذهب جماعة من المحدثين من الشيعة، وجمع من علماء أهل السنة إلى وقوع التحريف)). [1]

(١) المصدر السابق ص٢١٧ يرى الباحث الدقة والموضوعية في التعامل مع الموضوع من حيث المؤيدين له والمعارضين، فلا يتصورنَّ أحدٌ أنَّ مطلق الشيعة الإمامية مَنْ يقول بذلك، بل خصوص المحدثين منهم، الذين يعتمدون على الأحاديث اعتماداً كبيراً دون النظر في أسانيدها بل مجرد ورودها في كتب الحديث المعتمدة، وفي ذلك نقاش طويل بين الأصوليين والأخباريين وقد ردَّ الأصوليون كُلَّ أدلة الأخبارية في ذلك ومنهم السيد الخوئي في كتابه، وأما من أهل السنة فقد ذهب جمع إلى القول بالتحريف، ولكن لا يمكن الركون إلى أيِّ رأي، بل يجب اعتماد قول المحققين من الطائفة، لذا أورد السيد (قدس سره) قول محققي الإمامية في ذلك. ومنهم رئيس المحدثين الصدوق محمد بن بابويه، وقد عَدَّ القول بعدم التحريف من معتقدات الإمامية، ومنهم شيخ الطائفة أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، وصرح بذلك في أول تفسيره "التبيان"، ونقل القول بذلك أيضاً عن شيخه علم الهدى السيد المرتضى، واستدلاله على ذلك بأتم دليل، ومنهم المفسر الشهير الطبرسي في مقدمة تفسيره "مجمع البيان"، ومنهم شيخ الفقهاء الشيخ جعفر في بحث القرآن من كتابه "كشف الغطاء" وادعى الإجماع على ذلك، ومنهم العلامة الجليل الشهشهاني في بحث القرآن من كتابه "العروة الوثقى"، ونسب القول بعدم التحريف إلى جمهور المجتهدين، ومنهم المحدث الشهير المولى محسن القاساني في كتابيه [الوافي وعلم اليقين]، ومنهم بطل العلم المجاهد الشيخ محمد جواد البلاغي في مقدمة تفسيره "آلاء الرحمن"، وقد نسب جماعة القول بعدم

٣- نسخ التلاوة.

وهذا المبحث من المباحث الذي تذهب إليه العامة في توجيه بعض الروايات التي اشتملت على وجود آيات كانت تقرأ في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يُدَّعى ولكنها لا توجد اليوم في المصحف المجموع، وهذا الأمر في حقيقته كما يقول السيد هو التزام منهم بالقول بتحريف القرآن بنقيصته، فيقول (قدس سره): ((ذكر أكثر علماء أهل السنة: أنَّ بعض القرآن قد نُسخت تلاوته، وحملوا على ذلك ما ورد في الروايات أنه كان قرآناً على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيحسن بنا أنْ نذكر جملة من هذه الروايات، ليتبين أنَّ الالتزام بصحة هذه الروايات التزام بوقوع التحريف في القرآن)). [1]

ثم أورد السيد اثنتي عشرة رواية ذكرتها كتبهم تذكر سقوط بعض الآيات من القرآن الكريم ولكنهم يقولون أنها من باب نسخ التلاوة، ولكنه بعد ذلك يذكر كلاماً مهماً في ذلك يعتمد فيه كما هي عادته الحجة والبرهان في إبطال هذا النوع المزعوم في القرآن الكريم فيقول: ((وغير خفي أنَّ القول بنسخ التلاوة بعينه القول بالتحريف والإسقاط. وبيان ذلك: إنَّ نسخ التلاوة

التحريف إلى كثيرٍ من الأعاظم، منهم شيخ المشايخ المفيد، والمتبحر الجامع الشيخ البهائي، والمحقق القاضي نور الله، وأضرابهم.

(١) المصدر السابق ص٢١٨

هذا إما أنْ يكون قد وقع من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإما أنْ يكون ممن تصدى للزعامة من بعده، فإنْ أراد القائلون بالنسخ وقوعه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو أمرٌ يحتاج إلى الإثبات. وقد اتفق العلماء أجمع على عدم جواز نسخ الكتاب بخبر الواحد، وقد صرح بذلك جماعة في كتب الأصول وغيرها، بل قطع الشافعي وأكثر أصحابه وأكثر أهل الظاهر بامتناع نسخ الكتاب بالسنة المتواترة، وإليه ذهب أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين عنه، بل إنَّ جماعة ممن قال بإمكان نسخ الكتاب بالسنة المتواترة منع وقوعه وعلى ذلك فكيف تصح نسبة النسخ إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بأخبار هؤلاء الرواة ؟ مع أنَّ نسبة النسخ إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تنافي جملة من الروايات التي تضمنت أنَّ الإسقاط قد وقع بعده. وإنْ أرادوا أنَّ النسخ قد وقع من الذين تصدوا للزعامة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو عين القول بالتحريف. وعلى ذلك فيمكن أنْ يدعى أنَّ القول بالتحريف هو مذهب أكثر علماء أهل السنة، لأنهم يقولون بجواز نسخ التلاوة. سواء أنسخ الحكم أم لم ينسخ، بل تردد الأصوليون منهم في جواز تلاوة الجنب ما نسخت تلاوته، وفي جواز أنْ يمسه المحدث. واختار بعضهم عدم الجواز. نعم ذهبت طائفة من المعتزلة إلى عدم جواز نسخ التلاوة ...)). [1]

(١) المصدر السابق ص ٢٢٠

٤- التحريف والكتاب.

لقد بيَّن السيد في هذه الفقرة أدلة النافين لتحريف القرآن الكريم من خلال استدلالهم بأدلة خمسة أهمها:

- أولاً: قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾. (١)

- ثانياً: قوله تعالى: ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. (٢)

- ثالثاً: أخبار الثقلين اللذين خلَّفهما النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في أمته، وأخبر أنهما لن يفترقا، وأمر الأمة بالتمسك بهما ...

- رابعاً: إنه قد أمر الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام) بقراءة سورة تامة بعد الفاتحة في الركعتين الأوليين من الفريضة، وحكموا بجواز تقسيم سورة تامة أو أكثر في صلاة الآيات على تفصيل مذكور في موضعه. ومن البين أنَّ هذه الأحكام إنما ثبتت في أصل الشريعة بتشريع الصلاة وليس للتقية فيها أثر، وعلى ذلك فاللازم على القائلين بالتحريف أنْ لا يأتوا بما يحتمل فيه التحريف من السور، لأنَّ الاشتغال اليقيني يقتضي البراءة اليقينية ..

---

(١) سورة الحجر: الآية ٩

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٢

- خامساً: إنَّ القائل بالتحريف إما أنْ يدعي وقوعه من الشيخين، بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وإما من عثمان بعد انتهاء الأمر إليه، وإما من شخص آخر بعد انتهاء الدور الأول من الخلافة، وجميع هذه الدعاوى باطلة.[1]

٥- شبهات القائلين بالتحريف.

وفي هذاه الفقرة يستعرض السيد أربع شبهات يذهب إليها القائلون بالتحريف ويرد عليها واحدة تلو الأخرى، إضافة لعرضه لبعض الروايات التي استندوا إليها بالتحريف ومناقشتها ببيانٍ واضحٍ وجليٍّ، وهذه الشبهات التي ذكرت هي:

- أولاً: إنَّ التحريف قد وقع في التوراة والإنجيل، وإنَّ هناك روايات تقول إنَّ كل ما وقع في الأمم السالفة لابد وأن يقع مثله في هذه الأمة..

- ثانياً: إنَّ الإمام علياً (عليه السلام) كان له مصحف غير الموجود، وقد أتى به إلى القوم فلم يقبلوا منه، وأنَّ مصحفه (عليه السلام) كان مشتملاً على أبعاض ليست موجودة في القرآن الذي بين أيدينا ..

---

(١) ينظر: المصدر السابق ص٢٣٣، حيث يرى الباحث الإنصاف والدقة في مناقشة الأدلة التي تدل على العلم والورع، واسلوب المنهج العلمي، وهذا ما نراه في عظمته عندما يناقش بعض محدثي الشيعة الذين يقولون بوقوع التحريف.

- ثالثاً: إنَّ الروايات المتواترة عن أهل البيت (عليهم السلام) قد دلت على تحريف القرآن فلابد من القوا به.

- رابعاً: في كيفية جمع القرآن واستلزام وقوع التحريف فيه. [١]

فهذه مجمل شبهاتهم التي ردَّها السيد الخوئي بتفصيلٍ وبيانٍ، وقد عقد فصلاً خاصاً في الرد عن الشبهة الرابعة في كيفية جمع القرآن وما يتعلق بكيفية جمعه والأقوال التي وردت فيه حتى أعلن (قدس سره) في الخاتمة بعدم تحريف القرآن مطلقاً، حيث يقول بكُلِّ صراحة بعد كُلِّ ذلك التحقيق ومناقشة الأدلة والروايات: ((النتيجة: ومما ذكرناه قد تبين للقارئ أنَّ حديثَ تحريفِ القرآنِ حديثُ خرافةٍ وخيالٍ، لا يقول به إلا مَنْ ضعف عقله، أو مَنْ لم يتأمل في أطرافه حق التأمل، أو مَنْ ألجأه إليه بجب القول به، والحب يعمي ويصم، وأما العاقل المنصف المتدبر فلا يشك في بطلانه وخرافته)). [٢]

---

(١) المصدر السابق ص٢٣٧

(٢) المصدر السابق ص٢٧٦ ليت المعاندين والناصبين البغض لشيعة أهل البيت (عليهم السلام) يتأملوا في هذه الكلمات التي يطلقها زعماء الطائفة المحقة ومحققوها، ليكفوا ألسنتهم عن الكذب والافتراء والبهتان وخدمة أعداء الإسلام بإطلاق التهم بأنَّ الشيعة لهم قرآن غير هذا وأنهم يعتقدون بتحريف القرآن إلخ.

- خامساً: النسخ في القرآن الكريم.

إنَّ النسخ في القرآن من المباحث المهمة في الدراسات القرآنية وخصوصاً في تفسير القرآن الكريم، وقد اختلف المسلمون فيه اختلافاً كبيراً من حيث وقوع النسخ وعدمه، وعدد الآيات المنسوخة، ونوعها، وكيفية النسخ، وغير ذلك، وقد أُلِّفَ في هذا الباب مؤلفات عدة، وقد قدم السيد الخوئي (قدس سره) إنموذجاً كبيراً في شرح وبيان هذا المبحث إضافة لعرضه عدداً من الآيات التي اشتبه القوم في أنها ناسخة، بل أنَّ السيد يراها أنها مقيدة لآيات أخرى ومخصصة لها وليست ناسخة كما يدعيه بعض المفسرين والعلماء.

وقد تم بيان هذا المبحث من خلال عدة محاور منها:

١- بيان معنى النسخ في اللغة والاصطلاح.

بعد أن استعرض مفهوم النسخ لدع العلماء انتهى إلى تعريفه بأنه: ((رفعُ أمرٍ ثابتٍ في الشريعة المقدسة بارتفاعِ أمده وزمانه،سواء أكان ذلك الأمر المرتفع من الأحكام التكليفية أم الوضعية، وسواء أكان من المناصب الإلهية أم من غيرها من الأمور التي ترجع إلى الله تعالى بما أنه شارع)). [1]

(١) المصدر السابق ص٢٩٤

٢- إمكانية وقوع النسخ في الشريعة.

حيث قال (قدس سره) باتفاق المسلمين إمكانية وقوع النسخ من قبل الله تعالى، ولكن خالف في ذلك اليهود والنصارى في استحالة وقوع ذلك من الله تعالى وقد ذكر السيد عدة شبهات لهم في ذلك وردَّها إضافة على ذكر أمثلة للنسخ من التوراة .. [١]

٣- النسخ في الشريعة المقدسة.

إنَّ وقوع النسخ في القرآن الكريم قد اتفق عليه المسلمون، ومن ذلك أنَّ الشريعة الإسلامية قد نسخت أحكام الشرائع السابقة، وكذا في الإسلام من تحويل القبلة من جهة بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة، ولكن وقع الخلاف والأقوال في أمرٍ مهمٍّ يذكره السيد فيقول: ((وإنما الكلام في أنْ يكون شيء من أحكام القرآن منسوخاً بالقرآن، أو بالسنة القطعية، أو بالإجماع، أو بالعقل)). [٢]

ولأجل ذلك تحدَّث السيد عن الأقسام الثلاثة للنسخ في القرآن بالتفصيل وبين ما يتعلق بكُلٍّ ذلك. [٣]

---

(١) المصدر السابق ص٣٠١

(٢) المصدر السابق ص٣٠١

(٣) المصدر السابق ص٣٠٢

٤- مناقشة الآيات المُدَّعى نسخها.

فقد تعرَّض السيد إلى ذكر ست وثلاثين آية قيل أنه ورد نسخها، وناقشها مناقشة تامة وعميقة يجدر للباحثين دراستها تفصيلاً، حيث أنَّ رأيه (قدس سره) في عدم النسخ في كثيرٍ من الآيات المدعاة لذا قال في أول الفصل: ((في كتب التفسير وغيرها آيات كثيرة ادعى نسخها، وقد جمعها أبو بكر النحاس في كتابه "الناسخ والمنسوخ" فبلغت "١٣٨" آية. وقد عقدنا هذا البحث لنستعرض جملة من تلك الآيات المدعى نسخها، ولنتبين فيها أنه ليست -في واقع الأمر- واحدة منها منسوخة، فضلاً عن جميعها، وقد اقتصرنا على "٣٦" آية منها، وهي التي استدعت المناقشة والتوضيح لجلاء الحق فيها، وأما سائر الآيات فالمسألة فيها أوضح من أنْ يستدل على عدم وجود نسخ فيها)). [١]

وقد فصَّل القول في بيان بعض النكات بتفصيل رائع كما في آية التمتع وآية النجوى وآية الفيء وبيان بعض أسباب التعصب لمذاهبهم التي أدت إلى القول بالنسخ حفاظاً على ما يعتقدونه وإنْ خالف ذلك القرآن الكريم، فهذه من أهم المشاكل التي يعاني منها المسلمون حيث التعصب لما يؤمن به بعض وإنْ أدى ذلك إلى الحطِّ من منزلة القرآن أو منزلة النبيِّ الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) والشواهد على ذلك كثيرة، ويمكن على سبيل المثال مراجعة كتاب (النص والاجتهاد) للسيد عبد الحسين شرف الدين العاملي (قدس سره) فالأمثلة على ذلك كثيرة.

---

(١) المصدر السابق ص٢٩٤

- سادساً: أصول التفسير.

إنَّ هذا المبحث من المباحث المهمة في علوم القرآن والدراسات القرآنية حيث معرفة المناهج التفسيرية وبيان منهج كُلِّ مفسرٍ لمنهجه، حيث لا يخفى أنَّ التفسيرَ أمرٌ مهمٌّ ورثه المسلمون من الجيل الأول الذي صحب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة المعصومين (عليهم السلام) فكان المنهج الأول هو التفسير بالمأثور عنهم، حتى تعددت على مدى التأريخ نوعية المناهج التفسيرية.

والسيد (قدس سره) اهتم بهذا الباب كما في الأبواب التي سبقت ليختم بذلك تلك المقدمات لتفسيره، ليشرع بعدها أولاً بتفسير فاتحة الكتاب، ذكر السيد المراد من التفسير وما يمكن الاعتماد عليه في التفسير دون سواه، فيقول: ((التفسير هو إيضاح مراد الله تعالى من كتابه العزيز، فلا يجوز الاعتماد فيه على الظنون والاستحسان، ولا على شيء لم يثبت أنه حجة من طريق العقل، أو من طريق الشرع، للنهي عن اتباع الظن، وحرمة إسناد شيء إلى الله بغير إذنه قال الله تعالى: ﴿قُلْ آللّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [1]، وقال الله تعالى: ﴿وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [2] إلى غير ذلك من الآيات والروايات الناهية

---

(١) سورة يونس: الآية ٥٩

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٦

عن العمل بغير العلم، والروايات الناهية عن التفسير بالرأي مستفيضة من الطريقين)). [١]

إذاً من خلال ما تقدم تم وضع المنهج الأساس للمفسر في تعامله مع ألفاظ القرآن الكريم وهو الاعتماد على ما كان حجة إما عن طريق العقل أو الشرع دون سواه من الظنون أو الرأي أو الاستحسان وغير ذلك، إضافة بالقطع من أنَّ هذا مراد الله تعالى، ولو أننا رجعنا إلى تفاسير المسلمين لرأينا كثيراً منها مَنْ كان هذا منهجه من حيث الابتعاد عن المنهج القويم القائم على العقل والشرع. ولعدم الوقوع في مثل ذلك بيَّن السيد (قدس سره) المدارك والطرق المعتبرة للتفسير والتي خصصها بظواهر القرآن التي يفهمها العربي، وما حكم به العقل الفطري، وما ثبت وروده عن المعصومين (عليهم السلام)، حيث يقول تحت عنوان (مدارك التفسير): ((ولابد للمفسر من أنْ يتبع الظواهر التي يفهمها العربي الصحيح "فقد بينا لك حجية الظواهر [٢]، أو يتبع ما حكم به العقل الفطري الصحيح فإنه حجة من الداخل كما أنَّ النبي حجة من الخارج، أو يتبع ما ثبت عن المعصومين (عليهم السلام) فإنهم المراجع في الدين، والذين أوصى النبي (صلى الله عليه وآله) بوجوب التمسك بهم فقال: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله

(١) البيان ص٤١٩

(٢) وقد فصل القول فيه في مبحث مستقل حول حجية ظواهر القرآن الكريم. ينظر: ص٢٧٧

وعترتي أهل بيتي، ما إنْ تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً، ولا شبهة في ثبوت قولهم (عليهم السلام) إذا دلَّ عليه طريق قطعي لا شك فيه، كما أنه لا شبهة في عدم ثبوته إذا دلَّ عليه خبر ضعيف غير جامع لشرائط الحجية)). [١]

ثم تعرَّض إلى البحث حول حجية الخبر الواحد الثقة إذا ورد عن المعصومين (عليهم السلام) في تفسير الكتاب وما قيل في ذلك .. وكذلك إمكانية تخصيص القرآن بخبر الواحد القطعي والأقوال في المسألة.. [٢]

فهذا إجمالاً ما ستطعنا عرضه في هذا المبحث لأهم المباحث القرآنية التي تناولها كتاب (البيان في تفسير القرآن).

---

(١) المصدر السابق ص٤١٩

(٢) ينظر: المصدر السابق ص٤٢٠ – ٤٢٢

المبحث الثاني
القراءات القرآنية

المبحث الثاني: القراءات القرآنية.

إنَّ هذا المبحث من المباحث المهمة في علوم القرآن والتي كثر فيها البحث والتحقيق والكلام، وقد أبدع السيد (قدس سره) إبداعاً كبيراً في هذا الباب من حيث إشباعه بحثاً وتحقيقاً من خلال موضوعات عدة ناقشها في هذا الباب من أجل الوصول إلى النتيجة الواقعية من أنَّ القراءات هي اجتهادات من قبل القراء أنفسهم وأنها غير متواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما يذهب إليه كثير من العامة، وهذه النتيجة هي التي جعلت السيد يمهد لها بتمهيد حيث قال: ((قد اختلفت الآراء حول القراءات السبع المشهورة بين الناس، فذهب جمع من علماء أهل السنة إلى تواترها عن النبي (صلى الله عليه وآله) وربما ينسب هذا القول إلى المشهور بينهم. ونقل عن السبكي القول بتواتر القراءات العشر، وأفرط بعضهم فزعم أنَّ مَنْ قال إنَّ القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقوله كفر ونسب هذا الرأي إلى مفتي البلاد الأندلسية أبي سعيد فرج بن لب، والمعروف عند الشيعة أنها غير متواترة، بل القراءات بين ما هو اجتهاد من القارئ وبين ما هو منقول بخبر الواحد، واختار هذا القول جماعة من المحققين من علماء أهل السنة. وغير بعيد أنْ يكون هذا هو المشهور بينهم - كما ستعرف ذلك - وهذا القول هو الصحيح ...)). [1]

(١) البيان ص١٣٥

من خلال ما تقدم بين السيد الاتجاهات الثلاثة بالنسبة للقـــراءات بين مَنْ يرى أنها متواترة، ومَنْ يرى بكفر مَنْ يرى خلاف ذلك، ومَنْ لا يرى تواترها أصلاً وهو المشهور لعلماء الإمامية من خلال أدلة رصينة يعتمدون عليها. ولذلك فالسيد لأهمية هذا المبنى الذي يراه يقول: ((ولتحقيق هذه النتيجة لابد لنا من ذكر أمرين: الأول: قد أطبق المسلمون بجميع نحلهم ومذاهبهم على أنَّ ثبوت القرآن ينحصر طريقه بالتواتر، وعلى كل حال فلم يختلف المسلمون في أنَّ القرآن ينحصر طريق ثبوته والحكم بأنه كلام إلهي بالخبر المتواتر ... وبهذا يتضح أنه ليست بين تواتر القرآن، وبين عدم تواتر القراءات أية ملازمـــة، لأنَّ أدلة تواتر القرآن وضرورته لا تثبت -بحال من الأحوال- تواتر قراءاته، كما أنَّ أدلة نفي تواتر القراءات لا تتـــسرب إلى تواتر القرآن بأي وجه وسيأتي بيان ذلك - في بحث " نظرة في القراءات " - على وجه التفصيل.

الثاني: إنَّ الطريق الأفضل إلى إثبات عدم تواتر القراءات هو معرفة القراء أنفسهم، وطرق رواتهم، وهم سبعة قراء. وهناك ثلاثة آخرون تـــتم بهـــم العشرة ....)). [1]

وقد عقد السيد مبحثاً خاصاً في ترجمة القراء العشرة وأشهر رواتهم ومـــا قيل فيهم من قبل علماء الجرح والتعديل وهو بذلك يريد أنْ يتعامل مـــع

(١) المصدر السابق ص١٣٥

ناقل هذه القراءة كما بالنسبة لمن ينقل حديثاً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من حيث الوثاقة وعدمها وهذا هو المنهج العلمي الدقيق المتبع عند علماء الحديث.

وسيتم استعراض ذلك من خلال الفقرات الآتية:

- **أولاً**: **ترجمة القراء السبعة أو العشرة**.

والقراء السبعة أو العشرة فهم معروفون ويمكن ذكرهم إجمالاً من دون بيان ما تقدم به السيد حول شأنهم حيث يمكن مراجعة ذلك من مصدره، وإنه قد ذكرهم للإحاطة بأسمائهم أولاً، ومعرفة أقوال علماء الرجال فيهم ثانياً، إضافة إلى بيان المدة الزمنية التي تفصل بين كُلٍّ منهم والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لمعرفة ذلك التواتر المُدَّعى عليه، حيث أنَّ الباحث يرى عند ترجمتهم أنَّ منهم مَنْ لم يوثَّق من قبل الرجاليين بل قُدِح في بعضهم.[1]

(١) ينظر مثلاً ص١٣٨ وما قيل في ابن عامر الدمشقي، وص١٣٩ في هشام راوي ابن عامر وما قاله أحمد في إعادة الصلاة لمن صلى خلفه، وص١٤٠ وما قيل في ابن كثير، وص١٤١ وما قيل في راويَي ابن كثير ... إلخ فليحقق الباحثون في التواتر المُدَّعى لنكون على بينةٍ مما يتعلق بالقراءات، وهذه أهم الغايات التي كان يتوخاها السيد (قدس سره) من عرض ترجمتهم.

والقراء العشرة هم:

١- عبد الله بن عامر الدمشقي، وهو أبو عمـــران اليحـــصبي (ت١١٨هـ).

راوياه هشام (ت٢٤٦هـ)، ابن ذكوان (ت٢٤٢هـ).

٢- ابن كثير المكي، وهو عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله بن زادان بن فيروز بن هرمز المكي الداري، فارسي الأصل (ت١٢٠هـ).

راوياه البزي (ت٢٥٥هـ)، قنبل (ت٢٩١هـ).

٣- عاصم بن بهدلة الكوفي، وهو ابن أبي نجود أبو بكر الأسدي مولاهم الكوفي (ت١٢٨هـ).

راوياه حفص (ت١٨٠هـ)، شعبة (ت١٩٣هـ).

٤- أبو عمرو البصري، وهو زبان بن العلاء بن عمار المازني البصري، قيل أنه من فارس، (ت١٥٥هـ).

راوياه الدوري (ت٢٤٦هـ)، السوسي (ت٢٦١هـ).

٥-حمزة الكوفي، وهو ابن حبيب بن عمارة بن إسماعيل أبو عمارة الكوفي التميمي (ت١٥٦هـ).

راوياه خلف (ت٢٢٩هـ)، خلاد (ت٢٢٠هـ).

٦- نافع المدني، وهو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم (ت١٦٧هـ).

راوياه قالون (ت٢٠٥هـ)، ورش (ت١٩٧هـ).

٧- الكسائي الكوفي، وهو علي بن حمزة بن عبد الله بن بهمن بن فـيروز الأسدي، مولاهم من أولاد فارس (ت١٨٩هـ).

راوياه الليث (ت٢٤٠هـ)، الدوري (ت٢٤٦هـ).

٨- خلف بن هشام، راوي حمزة (ت٢٢٩هـ).

راوياه إسحاق (ت٢٨٦هـ)، إدريس (ت٢٩٢هـ).

٩- يعقوب بن إسحاق، (ت٢٠٥هـ).

راوياه رويس (ت٢٣٨هـ)، روح (ت٢٤٣هـ).

١٠- يزيد بن القعقاع، (ت١٣٠هـ).

راوياه عيسى بن وردان (ت١٦٠هـ)، ابن جمّاز (ت١٧٠هـ). [1]

(١) المصدر السابق ص١٣٨، وينظر: شرح الشاطبية، علي محمد الضباع ص١١

- ثانياً: نظرة في القراءات.

إنَّ هذا الباب من أهم أبواب هذا الفصل الكبير من كتاب (البيان) حيث أثبت السيد (قدس سره) وبأدلة قاطعة عدم تواتر القراءات عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيان أدلة وأقوال النافين لتواتر القراءات إضافة إلى ذكر كلمات القائلين بتواتر القراءات وحججهم والرد عليها.

إنَّ السيد (قدس سره) بعد أنْ فصَّل القول في ترجمة القراء وأحوالهم يستدل من ذلك على قوله من عدم تواتر القراءات وأنَّ تواتر القرآن لاعلاقة له بالقراءات، فإنه يورد أدلة خمسة لإثبات قوله وما يستدل عليه، وفي ذلك خدمة جليلة -كما أسلفنا- لهذا العلم.

يقول (قدس سره): ((قد أسلفنا في التمهيد من بحث "أضواء على القراء" بعض الآراء حول تواتر القراءات وعدمه وأشرنا إلى ما ذهب إليه المحققون من نفي تواتر القراءات، مع أنَّ المسلمين قد أطبقوا على تواتر القرآن نفسه. والآن نبدأ بالاستدلال على ما اخترناه من عدم تواترها بأمور:

- الأول: إنَّ استقراء حال الرواة يورث القطع بأنَّ القراءات نقلت إلينا بأخبار الآحاد، وقد اتضح ذلك فيما أسلفناه في تراجمهم فكيف تصح دعوى القطع بتواترها عن القراء. على أنَّ بعض هؤلاء الرواة لم تثبت وثاقته.

- الثاني: إنَّ التأمل في الطرق التي أخذ عنها القراء، يدلنا دلالة قطعية على أنَّ هذه القراءات إنما نقلت إليهم بطريق الآحاد.

- الثالث: اتصال أسانيد القراءات بالقراء أنفسهم يقطع تواتر الأسانيد حتى لو كانت رواتها في جميع الطبقات ممن يمتنع تواطؤهم على الكذب، فإنَّ كل قارئ إنما ينقل قراءته بنفسه.

- الرابع: احتجاج كُلُّ قارئ من هؤلاء على صحة قراءته، واحتجاج تابعيه على ذلك أيضاً، وإعراضه عن قراءة غيره دليل قطعي على أنَّ القراءات تستند إلى اجتهاد القراء وآرائهم، لأنها لو كانت متواترة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحتج في إثبات صحتها إلى الاستدلال والاحتجاج.

- الخامس: إنَّ في إنكار جملة من أعلام المحققين على جملة من القراءات دلالة واضحة على عدم تواترها، إذ لو كانت متواترة لما صح هذا الإنكار فهذا ابن جرير الطبري أنكر قراءة ابن عامر، وطعن في كثير من المواضع في بعض القراءات المذكورة في السبع، وطعن بعضهم على قراءة حمزة، وبعضهم على قراءة أبي عمرو، وبعضهم على قراءة ابن كثير، وإنَّ كثيرا من العلماء أنكروا تواتر ما لا يظهر وجهه في اللغة العربية ، وحكموا بوقوع الخطأ فيه من بعض القراء، وقد تقدم في ترجمة حمزة إنكار قراءته

من إمام الحنابلة أحمد، ومن يزيد ابن هارون، ومن ابن مهدى، ومن أبي بكر بن عياش، ومن ابن دريد)). [١]

لقد آثرنا ذكر هذه الأدلة بكاملها وكما نقلها السيد في كتابه ليتبين للباحثين عظمة ومكانة هذا المحقق الكبير في كيفية التعامل مع الموضوعات العلمية الدقيقة، حيث عرض هذا المبحث القرآني على علم الرجال والقواعد الرجالية التي يعتمدها الأصوليون مع الروايات والناقلين لها فوصل إلى هذه النتيجة العلمية التي لا تقبل الشك والتأويل، علماً أنه سوف يؤكد هذه النتيجة بأقوال علماء أهل هذا الفن، فأين يا ترى قول مفتي الديار الأندلسية القاضي بكفر مَنْ لم يقل بتواتر القراءات، وإلى متى يبقى المسلمون يُكَفَّرون لأدنى أمرٍ لا يلائم بعض ؟!

- **ثالثاً**: **أدلة وأقوال نفاة تواتر القراءات**.

في هذه الفقرة يستعرض السيد (قدس سره) لكلمات كبار العلماء حول عدم القول بتواتر القراءات السبع أو العشر التي مضت عن هؤلاء القراء فيقول: ((وقد رأينا من المناسب أنْ نذكر من كلمات خبراء الفن ممن صرَّح بعدم تواتر القراءات ليظهر الحق في المسألة بأجلى صوره)). [٢]

---

(١) المصدر السابق ص١٦٣

(٢) المصدرالسابق ص١٦٥

ثم يذكر في هذا الأمر كلام أئمة القراءات وأعلام الفن في ذلك مثل: أبو عمرو الداني (ت٣٧١هـ) ومحمد مكي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ) وأبو شامة (ت٦٦٥هـ) وابن الجزري (ت٧٨٢هـ). [١]

وبعد ذلك يعقب بمرارة المحقق المدقق فيقول: ((تأمل بربك هل تبقى قيمة لدعوى التواتر في القراءات بعد شهادة هؤلاء الأعلام كلهم بعدمه ؟ وهل يمكن إثبات التواتر بالتقليد، وباتباع بعض مَنْ ذهب إلى تحققه من غير أنْ يطالب بدليل، ولا سيما إذا كانت دعوى التواتر مما يكذبها الوجدان؟ وأعجب من جميع ذلك أنْ يحكم مفتي الديار الأندلسية أبو سعيد بكفر مَنْ أنكر تواترها !!! لنفرض أنَّ القراءات متواترة عند الجميع، فهل يكفر مَنْ أنكر تواترها إذا لم تكن من ضروريات الدين، ثم لنفرض أنها بهذا التواتر الموهوم أصبحت من ضروريات الدين، فهل يكفر كل أحد بإنكارها حتى مَنْ لم يثبت عنده ذلك ؟! اللهمَّ إنَّ هذه الدعوى جرأةٌ عليك، وتعدٍّ لحدودك، وتفريقٌ لكلمة أهل دينك!!!)). [٢]

---

(١) المصدر السابق ص١٦٥ - ١٧٠ حيث ذكر عدة كلمات للعلماء في هذا الشأن.

(٢) المصدر السابق ص١٦٥-١٦٩

- رابعاً: أدلة وأقوال القائلين بتواتر القراءات.

في هذا الموضوع بيَّن السيد قول القائلين بأنَّ هذه القراءات متواترة وقد جمعها في أقوال أربعة ثم بيَّن ضعفها ورد عليها بالأدلة العقلية والنقلية لكلمات الأعلام، وهذه الأقوال إجمالاً هي:

- الأول: دعوى قيام الإجماع عليه من السلف إلى الخلف. وقد وضح للقارئ فساد هذه الدعوى ..

- الثاني: إنَّ اهتمام الصحابة والتابعين بالقرآن يقضي بتواتر قراءته، وإنَّ ذلك واضح لمن أنصف نفسه وعدل.

الجواب:

إنَّ هذا الدليل إنما يثبت تواتر نفس القرآن، لا تواتر كيفية قراءته، وخصوصاً مع كون القراءة عند جمع منهم مبتنية على الاجتهاد، أو على السماع ولو من الواحد، وقد عرفت ذلك مما تقدم، ولولا ذلك لكان مقتضى هذا الدليل أنْ تكون جميع القراءات متواترة، ولا وجه لتخصيص الحكم بالسبع أو العشر. وسنوضح للقارئ أنَّ حصر القراءات في السبع إنما حدث في القرن الثالث الهجري، ولم يكن له قبل هذا الزمان عين ولا أثر ...

- الثالث: إنَّ القراءات السبع لو لم تكن متواترة لم يكن القرآن متواتراً والتالي باطل بالضرورة فالمقدم مثله، ووجه التلازم أنَّ القرآن إنما وصل

إلينا بتوسط حفاظه، والقراء المعروفين، فإنْ كانت قراءاتهم متواترة فالقرآن متواتر، وإلا فلا. وإذن فلا محيص من القول بتواتر القراءات.

الجواب:

١- إنَّ تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات، لأنَّ الاختلاف في كيفية الكلمة لا ينافي الاتفاق على أصلها، ولهذا نجد أنَّ اختلاف الرواة في بعض ألفاظ قصائد المتنبي -مثلاً- لا يصادم تواتر القصيدة عنه وثبوتها له، وإنَّ اختلاف الرواة في خصوصيات هجرة النبي لا ينافي تواتر الهجرة نفسها.

٢- إنَّ الواصل إلينا بتوسط القراء إنما هو خصوصيات قراءاتهم. وأما أصل القرآن فهو واصلٌ إلينا بالتواتر بين المسلمين، وبنقل الخلف عن السلف ..

- الرابع: إنَّ القراءات لو لم تكن متواترة لكان بعض القرآن غير متواتر ..[1]

فهذه أهم أقوالهم والرد عليها حيث لا يمكنها الثبات أمام ما تقدم من الأدلة التي تنفي التواتر، ثم بعد ذلك يورد السيد (قدس سره) كلامين مهمين لعلماء هذا العلم في عدم تواتر ذلك، فيقول: ((تعقيب: ومن الحق إنَّ تواتر القرآن لا يستلزم تواتر القراءات. وقد اعترف بذلك الزرقاني حيث قال: يبالغ بعضهم في الإشادة بالقراءات السبع، ويقول مَنْ زعم أنَّ القراءات السبع لا يلزم فيها التواتر فقوله كفر، لأنه يؤدي إلى عدم تواتر القرآن جملة، ويعزى هذا الرأي إلى مفتي البلاد الأندلسية الأستاذ أبي

(١) المصدر السابق ص١٧٠-١٧٢

سعيد فرج بن لب، وقد تحمَّس لرأيه كثيراً وألف رسالة كبيرة في تأييد مذهبه، والرد على مَنْ رد عليه، ولكن دليله الذي استند إليه لا يسلم، فإنَّ القول بعدم تواتر القراءات السبع لا يستلزم القول بعدم تواتر القرآن، كيف وهناك فرق بين القرآن والقراءات السبع، بحيث يصح أن يكون القرآن ، متواترا في غير القراءات السبع .... قال الزركشي في البرهان: للقرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف، وكيفيتها من تخفيف وتشديد غيرهما، والقراءات السبع متواترة عند الجمهور، وقيل بل هي مشهورة. وقال أيضاً: والتحقيق أنها متواترة عن الأئمة السبعة، أما تواترها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ففيه نظر، فإنَّ إسنادهم بهذه القراءات السبع موجود في كتب القراءات، وهي نقل الواحد عن الواحد)).[1]

وهذه نتائج مهمة جداً تغني الباحثين في هذا الأمر والمخرج منه !!

فهذه أهم الأبواب التي حاولت استعراضها في هذا المبحث لأهميتها حيث لم أستعرض الأبواب الأخرى لأنَّ ما تقدم هو أساس البحث في القراءات حيث يمكن الرجوع إلى الكتاب ومعرفة ما بقي منه في هذا الفصل..

---

(١) ينظر: المصدر السابق ص١٧٢-١٧٣

فهذه إجمالاً أهم مباحث كتاب (البيان في تفسير القرآن) حاولت عرضها لبيان عظمة وأثر هذا السفر الخالد في الدراسات القرآنية وما قدمه السيد الخوئي (قدس سره) من خدمة جليلة لعلوم القرآن الكريم حيث تستدعي الاهتمام البالغ بالدراسة والشرح والبيان والتعليق والمقارنة والموازنة لنصل إلى معلومات كبيرةٍ جداً في هذا العلم الشريف المختص بكتاب الله تعالى.

نتمنى أنْ نكون قد قدمنا شيئاً يسيراً حول هذا الجهد المعرفي الكبير في علوم القرآن لتكون مساهمة متواضعة في إحياء تراثنا القرآني الكبير، فنسأله تعالى أنْ يتقبَّله بأحسن قبوله، ويغفر ذنوبنا وتقصيرنا إنه سميع مجيب.

خاتمة وتوصية:

- إنَّ كتاب "البيان في تفسير القرآن" يعد من أهم المؤلفات التي أُلِّفت في علوم القرآن من قبل علمائنا الأعلام في العصر الحديث حيث اشتمل على أغلب مباحثه مع التحقيق والتدقيق ومناقشة الآراء والأقوال والأدلة وعرضها ببيان واضحٍ ودقيقٍ إضافة إلى مناقشتها ..

- تناول الكتاب قي جميع أبوابه مبدأ التجرُّد للباحث حيث عرض الأدلة والوجوه كما هي ومناقشتها بعيداً عن الميل المذهبي أو الفكري، بل بحرية فكرية مطلقة وقد تجلى ذلك كثيراً في مبحث صيانة القرآن من التحريف والقراءات القرآنية وغيرهما ..

- لقد استند الكتاب في عرض أدلة إيٍّ موضوع سواء المؤيد له أم المنافي في الاعتماد على كلمات كبار الأعلام للعلم والفن ومن مصادره الأساسية كما في كلمات علماء القراءات أو علماء الأصول في تحقيقاتهم، أو علماء الرجال في تراجم القراء وغيرها دون الرجوع إلى كلمات أيِّ عالمٍ قد لا يعد من محققي ذلك العلم أو تلك الطائفة ..

- يحس الباحث في صفحات الكتاب بالحيوية الفكرية والعلمية وكأنه في حلقةِ درسٍ علميٍّ معمَّقٍ يُستعرض السيد فيها الأدلة ويحاكم أيَّ دليل تظهر عليه آثار المخالفة ..

- إنَّ دراسة هذه الأبواب التي تم استعراضها في المبحثين من البحث تعطي للدارس لتفسير القرآن الكريم ثروة علمية كبيرة عن كتاب الله تعالى في فتح أذهانه لفهم القرآن وعظمته وصور إعجازه الخالدة، وسر خلوده عبر تلك السنين الطوال ..

- يوصي الباحث أنْ يأخذ الكتاب قسطاً كبيراً من الاهتمام في الدراسات القرآنية في المراحل الأكاديمية والحوزوية المتقدمة وأنْ يترجم إلى جميع اللغات الحية؛ لتكون الفائدة أكبر وأشمل لكُلِّ مَنْ يريد التعرُّف على أسرار القرآن الكريم الذي هو المعجزة الإسلامية الخالدة ..

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- إرشاد المريد إلى مقصود القصيد (شرح الشاطبية)، علي محمد الضباع، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده، مصر
- البيان في تفسير القرآن، السيد أبو القاسم الخوئي، مطبعة العمال المركزية، بغداد، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م
- المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، مطبعة الميناء، بغداد، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- معجم القراءات القرآنية، أحمد مختار عمر وعبد العال سالم مكرم، مطبعة أسوة، الطبعة الثانية، قم، ١٤٢٦هـ.

الفهرس

- مقدمة	٥
- تمهيد	٨
- المبحث الأول: نظرة موجزة لمباحث البيان	١٥
أولاً: فضل القرآن الكريم	١٥
ثانياً: إعجاز القرآن الكريم	٢١
١- القرآن والمعارف	٢٤
٢- القرآن والاستقامة في البيان	٢٥
٣- القرآن في نظامه وتشريعه	٢٧
٤- القرآن والإتقان في المعاني	٢٨
٥- القرآن والإخبار بالغيب	٢٨
٦- القرآن وأسرار الخليقة	٢٨
ثالثاً: القراءات القرآنية والقراء	٢٩
رابعاً: صيانة القرآن من التحريف	٣٠
١- معنى التحريف وما قيل فيه	٣١
٢- رأي المسلمين في التحريف	٣١
٣- نسخ التلاوة	٣٣
٤- التحريف والكتاب	٣٥

٥- شبهات القائلين بالتحريف	٣٦
خامساً: النسخ في القرآن	٣٨
١- بيان معنى النسخ في اللغة والاصطلاح	٣٨
٢- إمكانية وقوع النسخ في الشريعة	٣٩
٣- النسخ في الشريعة المقدسة	٣٩
٤- مناقشة الآيات المُدَّعى نسخها	٤٠
سادساً: أصول التفسير	٤١
- المبحث الثاني: القراءات القرآنية	٤٧
أولاً: ترجمة القراء السبعة أو العشرة	٤٩
ثانياً: نظرة في القراءات	٥٢
ثالثاً: أدلة وأقوال نفاة تواتر القراءات	٥٤
رابعاً: أدلة وأقوال القائلين يتواتر القراءات	٥٦
خاتمة وتوصية	٦٠
قائمة المصادر والمراجع	٦٣
الفهرس	٦٥

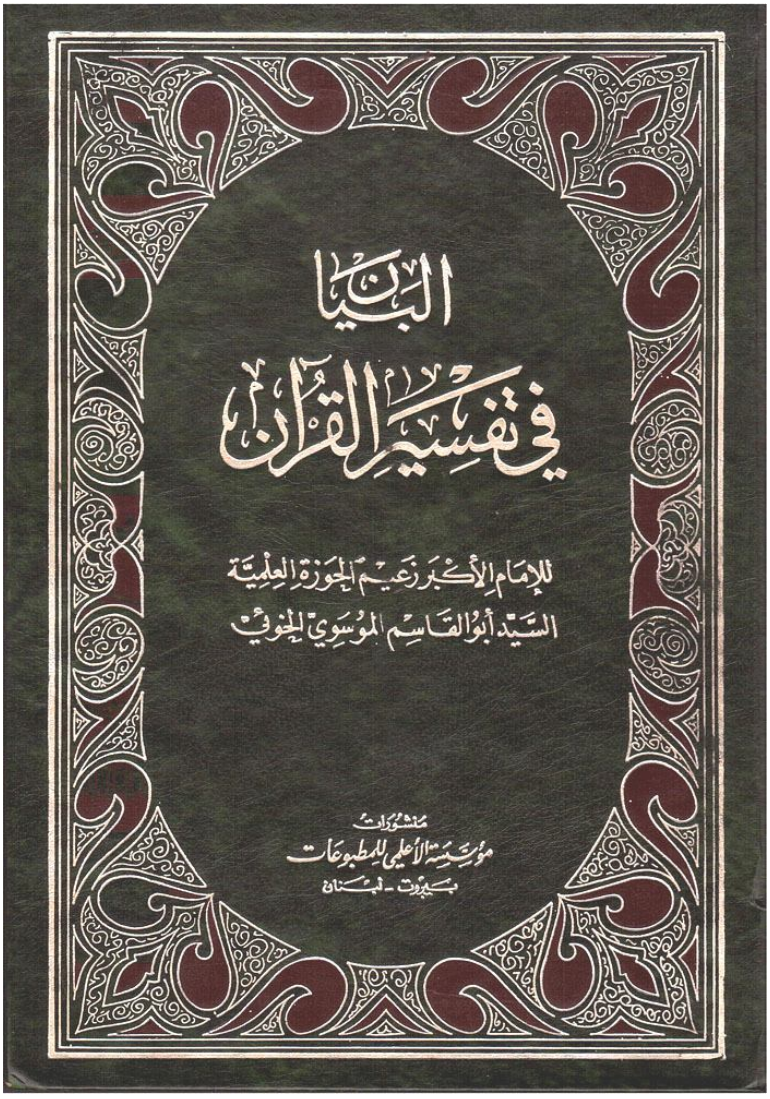
البيان
في تفسير القرآن
للإمام الأكبر زعيم الحوزة العلمية
السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان

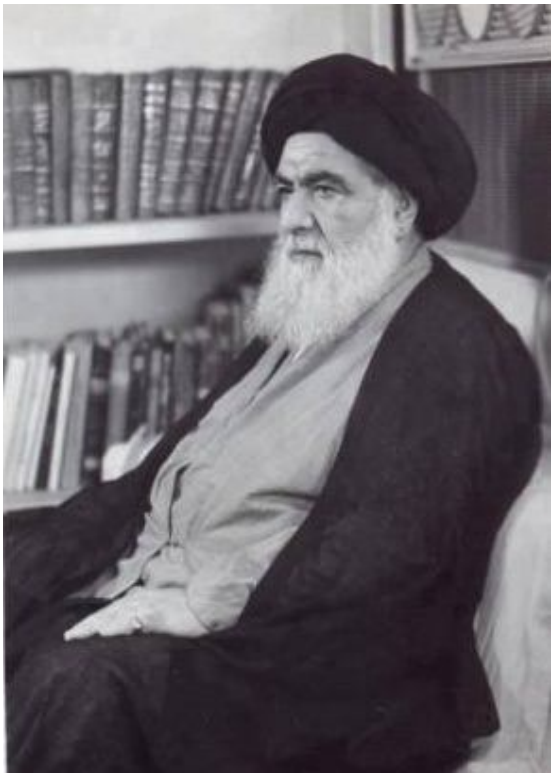

www.almohsin.org

إنَّ النجف الأشرف مدينة العلم والفكر والأدب، ولـها أثر كبير في مختـلف الدراسـات، ومن أهمـها القرآنية،حاول الباحث في هذه الصفحات من بيان صفحة مشرقة من صفـاحتها في عـلوم القرآن الكريم من خلال تسليط الضوء على كتاب عظيم في هذا الباب لعـلم من أعـلام المسـلمين أبـي القـاسم الخـوئي (قدس سره)

منشورات معالم الفكر
للطباعة والتوزيع والنشر
لبنان/ حارة حريك مجاور مسجد الحسنين
العراق/الكاظمية المقدسة
٠٠٩٦٤٧٧٠٧١١٨٤٣٣ ٠٠٩٦١٧٠٩٥٠٤١٢
mail.mialm1981@gmail.com